

## البعد الإنساني لشخصية الرسول الأعظم

### في شعر حسان بن ثابت

عقيل جاسم دهش \*

مقدمة البحث :

كان للمكانة الكبيرة التي فرضها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) في قلوب المسلمين أثر كبير في التغني بمناقبه وسماته الخلقية في الشعر العربي بعامة وفي شعر صدر الإسلام بخاصة، ولم يكن ذلك بوازع ديني محظ وبدافع الحصول على الأجر الأخروي من الله تعالى لكونه رسول الله وخاتم النبيين ومنقذ العباد من الضلالة الى الهدى والإيمان فحسب، ولكن لأنهم وجدوا في شخصية الرسول الشخصية المتكاملة التي تقدّم نموذجاً أسمى للإنسان، ليس بوصفه رسولاً، بل بوصفه إنساناً قبل كل شيء، ولذلك نجد أن البعد الإنساني للرسول (صلى الله عليه وآله) أخذ حيزاً كبيراً في شعر صدر الإسلام ونجده بصورة أكبر عند شاعر الرسول الأول، ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث في محاولة لاستجلاء ذلك البعد الإنساني للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في شعر حسان بن ثابت . ويقع البحث في مبحثين هما :

١. البعد الإنساني في السمات الخلقية للرسول (صلى الله عليه وآله) .

٢. البعد الإنساني في نشر الدعوة وقيادة الأمة .

ويحدونا الأمل في أن نوفق لتسليط الضوء على هذا البعد القيمي والأخلاقي في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلال استجلاء ملامحه في شعر حسان بن ثابت، سائلين المولى عز وجل أن يتقبل منا كأدنى درجة من درجات الوفاء لمنقذ البشرية ومستودع الفضيلة والخلق النبيل الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) لا سيّما ونحن نشهد أعتى محاولات الاستهداف للإسلام بالنيل من شخصية الرسول من قوى الكفر والطغيان متمثلة بكتابات ذوي الأقلام الرخيصة البائسة .

وقد رأينا أنّ المنهج التحليلي، الذي يقوم على تفكيك البنى النصية والكشف عن شبكة العلائق اللغوية التي يتشكّل منها نسيج النص الإبداعي، هو الأقدر على تطبيق خطة البحث على النصوص عينية الدراسة.

\* مدرس دكتور في مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة .

المبحث الأول : البعد الإنساني في السمات الخُلقية للرسول (صلى الله عليه وآله) :

١. العبودية : قال حسان :

وقال الله قد أرسلتُ عبداً يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءِ<sup>(١)</sup>

العبودية هي الخضوع والانقياد والتذلل، وقد جاء في لسان العرب: العبد هو الإنسان حراً كان أو رقيقاً لكونه مربوباً لخالقه، والتعبُّد التنسُّك، والعابد الموحِّد، وعبد الله يعبده عبادة أي تألَّهُ له<sup>(٢)</sup>. ولم يقل حسان (رسولاً) وإنما قال (عبداً) لكون العبودية مقدمة على النبوة وهي لازمة من لوازمها لأن النبوة تعني التبليغ عن الله، والمبلغ لا بد أن يكون في أعلى درجات الانضباط أو الالتزام بتعاليم السماء وهذا هو التسليم المطلق للإرادة الإلهية، وقد جاء قوله (عبداً) نكرة للدلالة على التفرد في الصفة لكونه، بما يملكه من استعدادات للسمو والاقتراب من الله عز وجل، أهلاً للعبودية الحقَّة، وهي تعني أن يصل الإنسان إلى منتهى كمالات النفس الإنسانية، وقد أعقبه بقوله (يقول الحق) في إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَى﴾<sup>(٣)</sup>، وقد فتح الزمن على مصارعه باستعمال الصيغة المضارعة للدلالة على عصمته لأن قيادة الأمة الإسلامية تقتضي أن لا يحيد القائد عن الحق طرفة عين، وقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه للدلالة على التلبس بين المقصود بالخطاب، وهو الرسول الكريم، وبين الحق وأصل الكلام (يقول قول الحق)، وقد وقع قوله (يقول الحق) صفة لقوله (عبداً) ومن خلال التلازم بين الصفة والموصوف يتضح لنا أن العبودية والعصمة ركنان أساسيان لقيادة الأمة وإرساء قوانين العدالة الإلهية في الأرض .

٢. الوفاء : قال حسان :

هجوتَ مباركاً برّاً حنيفاً أميناً الله شيمتهُ الوفاءُ<sup>(٤)</sup>

الشيمة هي الخلق والطبيعة، وتشيم أباه أي أشبهه في شيمته<sup>(٥)</sup>، والوفاء هو الخلق العالي وهو قيمة إنسانية عليا، وقد مدح الله تعالى نبيه الكريم بأنه قد تحقَّق بخلق القرآن وتأدَّب بأدبه في قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد جاء في اللسان: الوفاء ضد الغدر ورجل وفي وميفاء أي ذو وفاء، ويقال أوفيت بالعهد ووفيت به، وأوفاني حقَّه إذا أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً<sup>(٧)</sup>، وقد جعله الله من البرِّ والتقوى والإيمان في قوله ﴿وَأَلْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾<sup>(٨)</sup>، وهو سمة متأصلة عند العربي وكثيراً ما تغنى بها الشعراء كما ضربت بها الأمثال فقيل (أوفى من السمائل)<sup>(٩)</sup>، وهو سمة متصلة برجولة الإنسان العربي وكرامته وإنسانيته لكون الغدر صفة منبوذة يابأها الذوق العربي وتنفر منها الطباع الكريمة والفترة

السليمة. والمبارك هو الرجل الميمون اللين الجانب<sup>(١٠)</sup>، وهي صفة غالبية على أنبياء الله وقد تغنى القرآن الكريم في مدح أنبياء الله بأنهم مباركون<sup>(١١)</sup> أودع الله فيهم الخير كلَّ الخير وأخلصهم لنفسه واصطفاهم من بين خلقه وجعلهم رحمة للعالمين. وقد بنى الجملة بناءً اسمياً في قوله (شيمته الوفاء) لتأكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي، وفي البيت تعريض بأبي سفيان بأنه لا يملك شيئاً من الوفاء، وقد عزز هذا المعنى بتعريفه أبي سفيان- في البيت السابق<sup>(١٢)</sup>- من أن يكون ندا لرسول الله في قوله (ولست له بكفاء) باستعمال النفي بـ (ليس) وهو أقوى من النفي بـ (ما) ومجيء الباء الزائدة لتوكيد النفي وتقديم معمول خبر (ليس) الجار والمجرور (له) على الخبر للعناية والاهتمام فأين أنت منه حتى تقابل به؟! وأين الثرى من الثريا؟! وهذا قياس مع الفارق فالرسول لا يتشبه به أحد وليس له نظير بين البشر ولا يدانيه في شمائله وصفاته ومنزلته وعلو قدره لا نبيُّ منتجب ولا ملك مقرب، قلتُ في البيت تعريض بأبي سفيان بأنه لا يملك شيئاً من الوفاء ولا يرقى حرمة لأحد وأنه قد تجرّد من المروءة وانسلخ عن شيم العرب وقيمهم الأصيلة وقد أعمى الشيطان قلبه وأمات ضميره ولو لم يكن كذلك لما تطاول على رسول الله بالهزاء وهو يعلم محله منهم ومنزلته وشرفه في قومه، فأنى له أن يهجو رجلاً مباركاً طيباً موسوماً بالشهامة والنبيل والخلق الرفيع قد انتمنه الله على وحيه واختصه برسالاته واصطفاه لإصلاح الأمة وانتشالها من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى والإيمان ومن مزالق الوثنية والرجس إلى طريق الحق الساطع وصرّاط الله المستقيم!!.

### ٣. العظمة والسؤدد :

لقد اصطفى الله نبيّه من بين سائر خلقه واختصه بالرسالة وجعله خاتم المرسلين وأميناً على وحيه وهادياً لعباده وقد ميّزه بسمات فاق بها جميع البشر وبلغ بها المقامات الرفيعة والدرجات العالية وقد اشتق له اسماً من اسمه وغشيه بلطفه وعنايته وألبسه لباس السؤدد وسوّره بسوار الهيبة والعظمة، قال حسان :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ      فَدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ<sup>(١٣)</sup>

وفي قوله (ذو العرش) إشارة إلى أنه سبحانه قد نقش اسم نبيه الكريم على ساق العرش وقد خلق نوره من نوره مذ كان عرشه على الماء ولم يكن خلق من قبله لا أرض ولا سماء ولا جبال ولا بحار ولا زرع ولا شجر ولا شمس ولا قمر، والحمدُ في اللغة نقيض الذم وهو الثناء وأحمد الرجل إذا فعل ما يحمد عليه وأحمدته وجدته محموداً والمُحمَّدُ الذي كثرت خصاله المحمودة، قال الأعشى :

إِلَيْكَ أُبَيِّتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَّهَا      إِلَى الْمَاجِدِ الْقَرَمِ الْجَوَادِ الْمُحَمَّدِ<sup>(١٤)</sup>



وقد جاء بلام التعليل في قوله (ليجله) لبيان أن تسميته بهذا الاسم مقصود بها الإجلال والتعظيم، وقد جاء في اللسان: جلّ الشيء يجلُّ جلالاً وجلالة أي عَظَمَ وأجلّته إذا عَظَّمْتُهُ وجلالُ الله عظمتُه<sup>(١٥)</sup>، أي لقد كان ذلك منه سبحانه وتعالى إجلالاً لنبيه وتعظيماً لمكانته وقدره .

٤. الجرأة والشجاعة : قال حسان :

مُسْتَشْعِرِي حَلَقَ الْمَازِيَّ يَفْدُمُهُمْ جَلْدُ النَحِيْزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَعْدِيْدٍ

مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ رِغَابٌ لِمَا قَطَعُوا إِذَا الْكَمَاءُ تَحَامَوْا فِي الصَّنَادِيْدِ<sup>(١٦)</sup>

يعد هذان البيتان من أروع ما مدح به رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما تضمّناه من سمات جليلة ووصف دقيق للشخصية القيادية التي يتحلّى بها الرسول، وقد أجاد حسان الوصف وبرع في المدح وتقرّد بدقّة التصوير وتفنّن في اختيار عناصر الصورة. لقد مدح الشاعر رسول الله في هذين البيتين بالشجاعة والجرأة والإقدام عند اصطكاك الأسنّة واشتباك السيوف إذا ما حمى الوطيس وكشّرت الحرب عن أنيابها. وتعدّ الشجاعة من أجلّ الفضائل التي يسمو بها الإنسان الى أعلى قمم المجد، وقد جعلها أرسطو من الفضائل النفسية التي لها ما للسعادة من الأثر النفسي<sup>(١٧)</sup>، وهي من السمات التي شكّلت ملامح الشخصية العربية والاسلامية.

إنّ محمدا (صلى الله عليه وآله) قد توزع بين شجاعتين شجاعة ورثها عن آبائه وأجداده وقد كانوا من صناديد العرب ورجالاتها من ذوي النجدة والبأس والإقدام وأخرى اكتسبها من تفانيه في الله وشوقه الى لقائه وقيادته لجمع من المؤمنين ممّن يتبارون للقاء الله ويتلذذون باقتحام ميادين القتال للفوز بإحدى الحسينيين النصر أو الشهادة، وكما مدحهم القرآن في قوله ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوتَ بِنَاٍ إِلَّا آِ أَحَدَى

الْحُسَيْنِيْنَ ﴾<sup>(١٨)</sup>، وكيف يكون محمد بن عبد الله-حاشاه- جباناً رعيديداً وقد تحدّر من سلالة نجبية تورث أبناءها السيف وترى الجبن أو النكوص في ساحات الوغى سبة وعاراً؟!، قال الشيخ البيهقي: ولم نجد شجاعاً قط إلا وقد فرّ في مناوشة أو مواجهة، وكانت له (صلى الله عليه وآله) وقائع مثل أحد وحنين ولم يكن أحد يدّعي أنه هاب حرباً أو خاف<sup>(١٩)</sup>. وليس ذلك فحسب بل مدحه كذلك بثبات العزم وقوة الإرادة وحسن القيادة والتدبير، فهو الموسوم بالقيادة الحكيمة وسداد الرأي والدراية بأمر الحرب والقتال، وهو الذي يركب كلّ مركب صعب إذا عجز القوم عن ركوبه، فهو يركب الأمر العظيم إذا تحيّر أصحابه عنده ولم يلتمسوا له طريقاً للنجاة وقد نكصت الرجال ولاذ الشجعان بحماتهم وقادتهم وأشرفهم، وهو الذي علا ظهر الحرب وامتطى إليها كل عزم وحزم، وقد جاء في اللغة: كلُّ من علا شيئاً فقد ركب<sup>(٢٠)</sup>،



فهو العقل المدبّر فيها وهو المتصدي لشؤونها والعالم بأسرارها وخفاياها وكان قد خبرها وفقه مراسها وذاق طعم لهواتها. لقد جاء في اللسان: أمضى الأمر إذا أنفذه، ومضى السيف مضاء أي قطع<sup>(٢١)</sup>، والجلد هو القوي الشديد، والنحيزة هي الطبيعة (ونحيزة الرجل طبيعته) أو المسناة في الأرض (أو الأرض الصلبة)<sup>(٢٢)</sup>، ويجوز أن يكون كنى بها-على المعنى الثاني- عن الإرادة الصلبة أو جاء بها من طريق الاستعارة-على المعنى الأول- وأراد بها قوّة القلب والإرادة الصلبة وهما من أهم سمات القيادة، وهي استعارة محسوس، وهو البنية القوية، لأمر عقلي، وهو قوّة القلب، ولذلك أعقبها بقوله (ماض) بما يحتمل من معنيين: الأول السيف القاطع ليجمع له الأمرين قوّة القلب وقوّة الساعد وهما سمتان لا غنى عنهما في قيادة الجيش، الثاني هو الذي أنفذ أمره لأن صاحب الإرادة القوية يمضي في تحقيق ما يصبو إليه وإنفاذ ما عزم عليه وخطّط له دون أن يقف في وجهه شيء أو يثني عزمه خطب أو موقف مهول. وقد جاء الفصل بين الجملتين (ماض الى الهول) و (ركابٌ لما قطعوا) لتحقيق كما الاتصال بينهما لكون الثانية جاءت مؤكدة لما قبلها لتحقيق المعنى الذي دلّت عليه الأولى بلفظ جديد لترسيخه في الذهن<sup>(٢٣)</sup>، لأن من سمات الشخص الثابت الجنان الماضي في تنفيذ ما عزم عليه مهما كانت الظروف والأحوال أن يكون مقتحماً للصعاب مستعداً لركوب الأهوال غير مكترث بما يعترض طريقه أو بما يؤول إليه أمره فقد عودّ نفسه أن تستبسل وأسقط من قاموسه الخوف أو التهيّب أو النكوص، كيف لا؟ وقد وطّن للموت نفسه وابتاع آخرته بدنياه فسهل عنده العسير وهان لديه كلُّ صعب شديد. وقد جاء استعمال صيغة (فعل) في قوله (ركاب) التي تفيد معنى المبالغة في الدلالة على الحدث<sup>(٢٤)</sup>، ولعلّه أراد بقوله (قطعوا) الطريق الذي وقفوا عنده وحادوا عن الولوج فيه أو الأمر الشديد الذي عجزوا عن تذليله وإمضائه، أي لقد تركوا الأمر وتفردوا عنه وتردّدوا في ركوب الأهوال وتهيّبوا بينما هو ماض لتحقيق ما عزم عليه يركب الأهوال التي وقف عندها الرجال الأشداء بعد أن تُنبت عزائمهم وأرعدت فرائصهم، والصناديد هم قادة الجيش الأشداء من أشرف القوم وشجعانهم، أي لقد مضى يركب الأهوال ويقتمح لجج الوغى إذا ما تهيّب الفارس الشجاع فلجاً الى قائده ولاذ به لهول القتال ولشدة ما لاقاه من بأس الرجال ومضاء السيف.

## المبحث الثاني : البعد الإنساني في نشر الدعوة وقيادة الأمة :

## ١. الصبر :

يعدُّ الصبر من السمات المحمودة، وقد وصف الله عباده المؤمنين بالصبر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم<sup>(٢٥)</sup>، وقد جعل الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وقد مدح الله أنبياءه بصفة الصبر لكونه من دلالات الثقة بالله والتوكل عليه والتسليم لإرادته وحكمه. وقد تحلى نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) بأقصى درجات الصبر وكان يصبر على أذى قومه ويدعو لهم بالهداية وقد أثر عنه قوله (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)<sup>(٢٦)</sup> فكان يقابل أذاهم بالصبر والاحتساب عند الله وهم يتمادون في أذاه فيضربونه بالحجارة ويرمونه بفضلات الدواب وقد لقي منهم ما لم يلق رسول ولا نبيُّ قبله من قومه حتى قال قولته المشهورة (ما أؤذي نبيُّ بمثل ما أؤذيت)، وكان يواجه ذلك الأذى كله بالإيمان والصبر والتوكل على الله. وقد مدحه حسان بالصبر عند الشدائد والابتلاءات موظفا الحادثة التاريخية لبيان صبره وثقته بالله وقيادته الحكيمة إذ اجتمع عليه الكفار والمشركون في غزوة الخندق وهم ينوون قتله والقضاء التام على الإسلام وقد دبَّ الرعبُ في صفوف المسلمين وأخذ الشكُّ مأخذه منهم ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ويسوا من النصر ومن تحقيق وعد الله بإعلاء كلمة الإسلام بينما كان الرسول مطمئن القلب ثابت الجنان مترقبا لتحقيق وعد الله بالنصر فأقرَّ الله عينه وفضح المرتابين والمشككين في يوم كتب فيه النصر لمحمد وأصحابه وأخزى الله فيه الكافرين فولوا مدبرين على أعقابهم ينكصون. يقول حسان :

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا قَتَلَ النَّبِيَّ وَمَغْنَمَ الْأَسْلَابِ  
وَعَدَّوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رُدُّوا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ  
مَنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا فَفَرَّجَ عَنْهُمْ تَنْزِيلُ نَصِّ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ  
وَأَقْرَأَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَدِّبٍ مُرْتَابِ<sup>(٢٧)</sup>

وأثرُ القرآن بيِّنٌ في هذه الأبيات، يتمثلُ ذلك في اقتباس نصوص منه، يحيل فيها الى غزوة الخندق حين اجتمع الأحزاب لقتال الرسول والمسلمين والقضاء عليهم وقد تحشَّدوا على النبي وأصحابه من كل جانب إذ أقبلت قريش ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تابعهم من بني أسد ومن تحشَّد معهم من اليهود من بني قريظة والنضير وحينئذ ابتلي المؤمنون واضطربوا اضطرابا شديدا وقد عدلت الأبصار عن سننها وشخصت القلوب من مكانها خوفا وحيرة وجزعا حتى كثرت الظنون ويئس نفر ممَّن ضعف إيمانه وأرعد بدنه من تحقُّق وعد الله بالنصر وشرع نفر من أهل

الريبة والنفاق بالفرار بعد أن كانوا قد بايعوا النبي وأقسموا أنهم ينصرونه ولا يرجعون عن قتال عدوه!!<sup>(٢٨)</sup>، كما في قوله (غدوا علينا قادرين) فهو يحيل الى قوله تعالى ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْبٍ قَدِيرِينَ﴾<sup>(٢٩)</sup> أي لقد آمنوا في سرائر أنفسهم على جنتهم من نوازل الدهر ومتصرفات الأقدار، قال أبو حيان: غدوا في أنفسهم يظنون أنهم قد تمكّنوا من جني ثمارهم<sup>(٣٠)</sup>، وقوله (رُدُّوا بغيظهم على الأعقاب) فقد ضمَّنه قوله تعالى ﴿

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾<sup>(٣١)</sup> وقوله ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(٣٢)</sup>،

والغيظ في اللغة: الغضب، وقيل هو أول الغضب وسورته، وغيظت الهاجرة إذا اشتدَّ حميمها<sup>(٣٣)</sup>، قال ابن كثير: عادوا بغيظهم وحنقهم الذي جاءوا به ولم يشفقوا بنيل ما كان في أنفسهم من الظفر والمغرم<sup>(٣٤)</sup>، ولا شك أن مفردة (الغيظ) تسجّل في هذا المشهد الحسي الحركي حضورا نفسيا فاعلا له ما لا يخفى من قوّة التأثير في النفس، يقول الدكتور صلاح فضل: إنّ الكلمة الشعرية يتجلّى فيها نزوع فريد نحو تعديد وتكثيف إجراءات محاكاة الصوت للمعنى<sup>(٣٥)</sup>. والأعقاب جمع عقب، وعقب كل شيء آخره، وعقب القدم مؤخرها ومنه قولهم (وطئوا عقب فلان) أي مشوا في أثره<sup>(٣٦)</sup>، ومعنى (يرُدُّوكم على أعقابكم) أي يرجعونكم كقار<sup>(٣٧)</sup>. أي لقد طلبوا النصر وظنوا في أنفسهم أنهم قد تمكّنوا من مرادهم فرجعوا خائبين مهزومين، وهي من الصور الساخرة التي تكشف عن حالة الانكسار التي باتت تسيطر على هؤلاء المشركين لحظة الإحساس بالهزيمة النكراء التي لحقت بهم وبأتباعهم وهم يرون كلمتهم أيادي سبأ ورايتهم قد نُكِّست وجمعهم آل الى شتات!، وهو ضرب من السخرية شديد الوقع على المهجو وكأئنه لوحة أو رسوم كاريكاتيرية تبعث على الازدراء بالمخاطب وتلحق به عارا لا يفارقه ما بقي الدهر، يقول الدكتور محمد عبد المطلب: إنّ إدراك المبدع لمكونات النص هو إدراك خلاق يكثف المستوى الجمالي للتعبير عن طريق خلق بنية تتداخل فيها العلاقات وتتبادل فيها التفاعلات بفئّة تستمد قيمتها من النحو الإبداعى<sup>(٣٨)</sup>. وقول حسان (وكفى الله المؤمنين قتالهم) ومراده قوله تعالى ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾

<sup>(٣٩)</sup>، أي لقد جنّبهم مقاتلة أعدائهم من المشركين وأتباعهم ممّن تحزّب معهم بما قذف في قلوب المشركين من الرعب وبتّ في صفوفهم الفرقة والخذلان، قال الطبرسي: لقد نصر الله المؤمنين ومنعهم قتال عدوهم بعلي بن أبي طالب (عليه السلام)<sup>(٤٠)</sup>، وقوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوكُمُ﴾<sup>(٤١)</sup>، والقنوط هو أشدُّ اليأس<sup>(٤٢)</sup>، أي ينزله عليهم في وقت حاجتهم من بعد ما ينسوا منه<sup>(٤٣)</sup>، وذهب الطبرسي الى أن الوجه في إنزال الغيث أو الحصول على المنفعة من بعد القنوط أنه ادعى الى شكر المنعم وتعظيمه والمعرفة بموقع

إحسانه<sup>(٤٤)</sup>، يقول الدكتور فاضل السامرائي: إنَّ التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كلُّ كلمة وضعت لقصد فإذا ما انحرفت عن مكانها أو أبدلت من غيرها انحرف الكلام عن مقصوده<sup>(٤٥)</sup>، ونقطة الالتقاء بين النصَّين أن وقوع النصر أو نزول الغيث كليهما فيه نفعٌ كثير وقرّةٌ للعين وإثلاجٌ للفؤاد، ولما كانوا بأمرٍ الحاجة إلى نزول الغيث (أو تحقُّق النصر) وكان قد حبس عنهم حتى ينسوا من نزوله (أو وقوعه) كان وقوعه من بعد القنوط والقحط أقرَّ لعيونهم وأشفى لصدورهم.

٢. الفعل الحسن : قال حسان :

أغرُّ عليه للنبوّة خاتمٌ من الله مشهودٌ يلوخُ ويُشهِدُ<sup>(٤٦)</sup>

جاء في اللغة: رجلٌ أغرُّ كريم الأفعال واضحها<sup>(٤٧)</sup>، إذ كان النبي (صلى الله عليه وآله) مشهوراً بخصاله المحمودة وحسن فعله، وقد تغنى الشعراء بجميل أفعاله وحسن سيرته وقال فيه أبو طالب :

وأبيضٌ يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل<sup>(٤٨)</sup>

وقيل المقصود بالخاتم شامة سوداء محتفرة باللحم وهي خاتم نبوته، وذهب شارح الديوان عبد الرحمن البرقوقي إلى أنه يجوز أن يكون المقصود بالخاتم أنه قد طبع بطابع النبوة وهو إشراق وجهه واستبشاره وجميع خصاله وأفعاله<sup>(٤٩)</sup>، وأكبر الظن أنه أراد بالخاتم العلامة وأكبر علامات نبوته معجزته، وهي القرآن الكريم، ولذلك قال (من الله) أي هو كلام الله المنزل على نبيه، ثم وصفه بقوله (مشهود) ولعلَّ في ذلك إحالة إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾<sup>(٥٠)</sup>، قال الزمخشري: إن معنى قوله (مشهدا) يشهده ملائكة الليل والنهار<sup>(٥١)</sup>. وقد جاء بقوله (خاتم) نكرة للدلالة على التعظيم<sup>(٥٢)</sup>، وأيُّ شيء أعظم شأنًا من القرآن الكريم الذي أنزله الله هدى ورحمة للناس وليبين لهم دينهم ويهديهم إلى سواء السبيل.

٣. هداية الأمة : قال حسان :

نبيُّ أتانا بعدَ يأسٍ وفترةٍ من الرُّسل والأوثانُ في الأرض تُعبَدُ

فأمسى سراجاً مُستنيراً وهادياً يلوخُ كما لاحَ الصقيْلُ المُهددُ

وأندرنا نارا وبشرَ جنةً وعلمنا الإسلامَ فاللهُ تَحْمَدُ<sup>(٥٣)</sup>

لعلَّ من أهم الأمور التي يُكفُّ بها الأنبياء هداية الأمة وإرشادها إلى الصواب ونهيها عن الخطأ، أي أنَّ الوظيفة التي أنيطت بالنبي هي وظيفة تربوية إصلاحية تتمثل في تهذيب السلوك الإنساني وبناء المجتمع على أسس تربوية سليمة، وإنَّ من سنن الله في خلقه أنه جعل لكل قوم نبياً منهم هادياً ونذيراً وذلك قوله

تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾<sup>(٥٤)</sup>، ولذلك اقترن مصطلح (الهدى) بالنبوة في آيات عديدة، فقد أنزل الله التوراة على نبيه موسى وبعثه الى قومه لهدايتهم وهو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾<sup>(٥٥)</sup> وقد أمره الله أن يبشّر الأمة على لسانه بظهور خاتم المرسلين هاديا للبشرية جمعاء في قوله ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾<sup>(٥٦)</sup>، بل لقد جعل الله هداية الأمة مقرونة بطاعة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) في قوله ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَكَمِ اللَّهُ عَلَىكُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا تَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَ قَوْمٍ أُولِي نُفُوسٍ لَاطِمَةٍ أَلَا يَأْتِيكُمُ الْبَشِيرُ وَالنَّذِيرُ أَنَّ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٥٧)</sup>. وفي قوله (نبيُّ أُنَانَا) إحالة الى قوله تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ﴾<sup>(٥٨)</sup>، وقد جاء بالبنية الاسمية في قوله (والأوثانُ في الأرض تعبدُ) لترسيخ المعنى في الذهن وخلق انطباع مهول عن تلك الحقبة المظلمة من تأريخ البشرية، ولذلك جاء بـ (الأوثان) في أقوى حالاتها مرفوعة بالابتداء وعزّز ذلك بمجيء (أل) في قوله (الأرض) لبيان الجنس، فالأرضُ قد ملئت ضلالة وقد عمّ الشرك أرجاء المعمورة وأطبق الجهل على الناس فعموا عن طريق الهدى والحق وتنگرّوا لخالقهم واتخذوا لهم أصناما يصنعونها بأيديهم فيعبدونها من دون الله، وأفاد تنكير قوله (نبي) الدلالة على التفرد فهو يفضل جميع الأنبياء ويتقدمهم منزلة وشرفا وأنه ليس له نظير بين البشر وقد جعل الله الفتح على يديه ليقضي على الشرك ويطهر الأرض من الرجس والأوثان. وفي النص نكتة لطيفة، إذ قدّم حسان الهداية ثم أعقبها بالإنذار لينتهي بعد ذلك بالبشارة فقد أدّى رسولنا الكريم مهمته على أكمل وجه إذ بيّن لنا طريق الحق المبين وهدانا الى نور الإيمان الساطع ثم حدّرنا بأن لا نحيد عنه ليزفّ لنا بشارة الاعتصام بحبل الله المتين والتمسك بالشرعية المحمّدية السمحاء، وقد جاء هذا الترتيب متناغما مع المشاعر الإنسانية وذلك أن الخطر إذا كان مضغوطا بين أمنين ضعفت قوته وتلاشى أثره كما قال :

هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ- مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَرْشُدْ  
وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلَالُ قَوْمٍ تَسَقَّوْهُا عَمَى وَهَدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدٍ<sup>(٥٩)</sup>

لقد انتشلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عمى الضلالة والغي الى نور الإيمان الساطع ومن درن الوثنية ومستنقع الرذيلة الى كرامة النفس وعزّتها حيث العبودية الحقة لله وحيث تجلّي الحقيقة الصادحة

والبرهان الواضح. وقد استعمل الاستفهام الإنكاري الذي يقصد منه الاستهجان والتقريع في معرض النفي وهو أبلغ من النفي الصريح لزيادة الثقة في نفس المتكلم ولوقعه الشديد في نفس المخاطب<sup>(٦٠)</sup>، ألا ترى أنه استفهم بـ (هل) لكونها أدعى للفعل من الهمزة للدلالة على التجدد<sup>(٦١)</sup>، أقول استعمل الاستفهام الإنكاري في قوله (هل يستوي) ليخاطب عقولهم وينكر عليهم سفههم وعنادهم حتى لا يكادون يُميِّزون بين عمى الضلالة ونور الهداية المشرق في إشارة الى قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦٢)</sup>، وقد استعمل الصيغة المضارعة في قوله (يستوي) لفتح الزمن المستقبلي في إشارة الى جدلية الحق والباطل، أو الهدى والضلال، التي تشكلت مذ خلق الله الدنيا وهي لن تزول إلا بزوالها، وقد أشار إليها القرآن في قوله ﴿وَهَدَيْتُهُ التَّجْدِينَ﴾<sup>(٦٣)</sup>، فمذ خلق الله الدنيا رفعت فيها رايتان راية أهل الباطل والنفاق وراية أهل الحق والإيمان فأولئك يقودهم الجهال والسفهاء يتقدمهم الشياطين وهؤلاء يقودهم أهل الرشد من ذوي الحكمة والعلم والسادد يقودهم الأنبياء والأولياء. وفي النص نكتة لطيفة وهي مجيء النكرة في قوله (ضلال) للدلالة على التحقير<sup>(٦٤)</sup>، ولتحقيرهم فقد وصفهم بالصيغة الماضية في قوله (تسفهوا) في التفاتة ذكية الى وصفهم بالجمود وتجريدهم عن الحركة والحياة وكأنهم في سبات دائم إذ لم يستثمروا عقولهم ولم يتحركوا باتجاه إحداث التغيير المطلوب على صعيدي الاعتقاد والسلوك وقد قدر الله أنه لا يغير ما بقوم حتى يستشعروا التغيير من أنفسهم وذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٦٥)</sup>، وقد استعمل صيغة (تفعل) لإفادة معنى الصيرورة<sup>(٦٦)</sup> لكونهم قد تلبسوا بالسفه حتى صاروا من جنسه وصار من جنسهم فانقطعت العصمة ورفعت الرحمة وتقطعت بهم الأسباب ووجب عليهم العذاب والخذلان!، في حين جاءت النكرة في الطرف الثاني في قوله (هداة) للدلالة على التعظيم والتكريم الإلهي للمؤمنين في جوار الله وسعة رحمته وجميل رضوانه، ومن أمارات التعظيم أنه وصفهم بالصيغة المضارعة في قوله (يهتدون) للدلالة على الحركة المستمرة والسعي الدائب نحو التغيير والتعديل والإصلاح والتحرك ضمن بوصلة التقرب الى الله والتطلع الى المعرفة الحقة له والظفر برضوانه ونعيمه السرمدى.

٤. قوة الشخصية وحسن القيادة : قال حسان :

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِمٍ      مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ<sup>(٦٧)</sup>



الحبل في اللغة: الرباط، والحبل العهد والذمة، وحبل الله عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب، وقيل ترك الفرقة وأتباع القرآن<sup>(٦٨)</sup>. والاستعصام هو التمسك بالشيء والامتناع به، وقد جاء في اللسان: العصمة في كلام العرب المنع وعصمه يعصمه عصما منعه ووقاه وأصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه والاعتصام الامتسك بالشيء وأعصمه أي هياً له طريقاً يعتصم به وأعصم بالفرس امتسك بعرفه وبالبعير إذا امتسك بحبل من حباله<sup>(٦٩)</sup>. ولا يخفى أن الحبل وسيلة من وسائل النجاة، وقد أفادت الباء معنى الاستعانة<sup>(٧٠)</sup>، كما في قولنا (كتبتُ بالقلم) أي استعنت بهذه الأداة لنقل أفكارى وترجمتها الى كلمات يفهمها المتلقي، لقد كُنَّا بأمس الحاجة الى ذلك الحبل الذي انتشلنا من قعر الضلالة الى فضاء الهدى الواسع الرحب ومن دنس الوثنية الى طهارة التوحيد وقد غمرنا بنور الإيمان الساطع وأذاقنا حلاوة العبودية الخاصة لله عز وجل. وفي قوله (مستعصمين بحبل) إحالة الى قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

جَمِيعًا﴾<sup>(٧١)</sup>، وقد فُسِّر الحبل في الآية الشريفة بمعان عدة أبرزها العهد والقرآن والإسلام والطاعة وإخلاص التوحيد، وذهب الزمخشري الى أنه يجوز أن يكون استعار الحبل لعهد الله أو للقرآن إذ يقول: يجوز أن يكون المعنى اجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه<sup>(٧٢)</sup>، وقد روي عن رسول الله قوله (كتابُ الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الأرض)<sup>(٧٣)</sup>، وذكر أبو حيان أن قول العرب (اعتصمتُ بحبل فلان) يحتمل أن يكون من باب التمثيل، إذ مثل استظهاره به ووثوقه بإمسك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق، ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة، إذ استعار الحبل للعهد والاعتصام للوثوق به<sup>(٧٤)</sup>. لقد أتى الشاعر بالحبل وأراد به-فيما نذهب إليه- رسول الله (صلى الله عليه وآله) من طريق الاستعارة، لكونه حبل النجاة للبشرية جمعاء أي أن الله تعالى قد اختاره واصطفاه وأخلصه لنفسه من بين خلقه ليقيم حجته على الناس ويهديهم الى صراط الله المستقيم وأنه الطريق الموصلة الى رحمة الله الواسعة وفيض عطائه ورضوانه، وقد وصفه بأنه (ممدود) في إشارة الى أهل بيت النبي (عليهم السلام) فهم أمانٌ لأهل الأرض وهم حبل الله الممدود من الأرض الى السماء إذ لا تخلو الأرض من حجةٍ وإلا ساخت بأهلها، وهي استعارة محسوس، وهو الحبل، لمعنى ذهني، وهو النجاة، والعلاقة بين طرفي الاستعارة هي المشابهة والشبه بينهما أن يتمسك شخص بشيء يمنعه من الخطر المحدق به وينجيه، فكما أن الحبل يعصم الإنسان من الهلاك ويصل به الى برِّ الأمان كذلك التمسك بأوامر النبي ونواهيهِ والسير على نهجه هو الطريق الأوحد للنجاة من العذاب يوم القيامة والفوز بالنعيم الأبدي. وفي استعارة الحبل للرسول دليل على عصمته لأنه إذا لم يكن معصوماً لم يكن وسيلة للنجاة لأن فاقد الشيء لا يعطيه فكيف تنجو الخلائق بالتمسك به واتباعه وهو لا يملك أن يمنع نفسه عن



الخطأ وأنى لرجل يصيب ويخطئ أن يقود الأمة الى شاطئ النجاة وأن يصلح سرائر النفوس وهو لم يصلح سريرته بعد؟! . وقد جاء بقوله (حبل) نكرة للدلالة على التفرّد في الصفة فهو حبلٌ لا كسواه من الحبال إما يملكه من صفات تكاد تخرجه من جنس الحبال حتى يكون أصلاً بنفسه وجنسا برأسه، إذ إن من سمات الحبل أنه، مهما كانت متانته وشدّة قتله، قابل للانقطاع وأنه لا بد أن يكون له طرفان كأن يبدأ بنقطة (أ) وينتهي عند النقطة (ب) أما أن يكون (غير منجذم) و (ممدود) أي غير قابل للانقطاع وليست له نهاية فهو حبلٌ فريداً ليس له نظير بين الحبال وهذا يجعله مدعاة للتأمل فيه وفي سماته والحرص كل الحرص على التمسك به والوصول من خلاله الى ضفة النجاة . وفي قوله (مستحکم) دليل آخر على عصمته لكونه لا يفعل قبيحا ولا يقارب معصية، ومنه استحکم الرجل إذا تناهى عما يضره في دينه ودنياه، أو يكون من الحكمة، والحكمة هي العدل ووضع الشيء في موضعه والحكيم هو العالم المجرب الذي يحكم الأشياء ويتقنها، وقد جاء في اللغة: أحكم الأمر أتقنه ورجل حكيم عدل متقن للأمر قد أحكمته التجارب<sup>(٧٥)</sup>، والحكمة سمة من سمات الأنبياء وسبيل الى معرفة الله حقّ معرفته لنيل رضوانه والمقام عنده ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾<sup>(٧٦)</sup> وقد عرف الرسول (صلى الله عليه وآله) بحكمته

الواسعة ودرايته في الأمور وحسن سياسته في تسيير أمور الدولة الإسلامية وقيادة الأمة وتنظيم شؤون الرعية وأحوالهم، وقد جاء بصيغة (مستفعل) لإفادة معنى الاتخاذ<sup>(٧٧)</sup>، أي لقد اتخذ الحكمة مطية لتسيير شؤون الدولة ورعاية مصالح العباد. وفي قوله (غير منجذم) تأكيد على الإمامة وخلافة الأمة من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) من قبل أئمة الهدى الاثني عشر الذين نصّ عليهم الكتاب والسنة بالأدلة القاطعة والنصوص المتواترة، إذ قال تعالى ﴿ إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾<sup>(٧٨)</sup> فأثبت الولاية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) باتفاق المفسرين على سبب النزول<sup>(٧٩)</sup>،

ثم أكدها الرسول في غدير خم حين نصّب عليا خليفة من بعده في قوله (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)<sup>(٨٠)</sup> مصداقا لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾<sup>(٨١)</sup>،

كما نصّ على إمامة أهل بيته (عليهم السلام) في حديث الثقلين المتواتر وذلك قوله (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)، وقد أكّد الشاعر هذا المعنى في نهاية البيت حين وصف الحبل بأنه (ممدود) أي أنه حبل متصل وهذا دليل على أن الأرض لا تخلو من حُجّة في إشارة الى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام) الذي يقيم دولته في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً من بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

## نتائج الدراسة :

لقد ركزت الدراسة على أبرز السمات الإنسانية في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) في شعر حسان بن ثابت، تلك السمات التي أهّلته أن يكون جديرا بالاصطفاء والتعظيم من قبل الله تعالى وبلوغ الدرجة التي فاق بها جميع الأنبياء والمرسلين بل الخلق كلهم أجمعين ليكون أشرفهم وأكثرهم مودة وأشدّهم إخلاصا وعبودية لله سبحانه وأقربهم إليه منزلة وفضلا. ومن أبرز تلك السمات: عبوديته الحقّة لله عز وجل وهي مقدّمة على النبوة لكونها لازمة من لوازمها لأن النبوة تعني التبليغ عن الله، والمبلغ لا بد أن يكون في أعلى درجات الالتزام بتعاليم السماء وهذا هو التسليم المطلق للإرادة الإلهية، ومنها شجاعته إذ توزع نبينا الكريم بين شجاعتين شجاعة ورثها عن آبائه وأجداده الذين كانوا من صناديد العرب ورجالاتها من ذوي النجدة والبأس والإقدام وأخرى اكتسبها من تفانيه في الله وشوقه الى لقائه وقيادته للمسلمين في لجاج الحرب وميادين القتال، فضلا عن ذلك فقد وصفه بالصبر وهو من السمات المحمودّة التي مدح الله بها أنبياءه لكونه من دلالات الثقة بالله والتوكل عليه والتسليم لإرادته وحكمه وقد تحلّى الرسول بأقصى درجات الصبر وكان يقابل أذى قومه بالصبر والاحتساب عند الله، ووصفه بالوفاء وهو سمة متصلة برجولة الإنسان العربي وكرامته وإنسانيته لكون الغدر صفة منبوذة ياباها الذوق العربي وتنفر منها الطباع الكريمة والفضيلة السليمة، وكذلك وصفه باليمن والبركة ولين الجانب وهي صفات غالبية على أنبياء الله فقد تغنى القرآن الكريم في مدحهم بأنهم مباركون أودع الله فيهم الخير وأخلصهم لنفسه واصطفاهم من بين خلقه وجعلهم رحمة للعالمين، كما وصفه بالحكمة وحسن القيادة والحكمة سمة من سمات الأنبياء وسبيل الى معرفة الله وقد عرف الرسول بحكمته الواسعة ودرايته في الأمور وحسن سياسته في تسيير أمور الدولة الإسلامية وقيادة الأمة وتنظيم شؤون الرعية وأحوالهم. وقد جاءت البنية متوافقة مع غرض الشاعر في إثبات تلك السمات الخلقية في شخصية الرسول الكريم محمد، وعلى النحو الآتي :

١. استعمال الاستفهام الإنكاري في قوله (هل يستوي) الذي يقصد منه الاستهجان والتفريع في معرض النفي لكونه أبلغ من النفي الصريح وذلك لزيادة الثقة في نفس المتكلم ولوقعه الشديد في نفس المقصود بالخطاب مخاطبا به عقول المعاندين والمنكرين منكرا عليهم سفهم وعنادهم الذي جعلهم لا يميّزون بين عمى الضلالة ونور الهداية الساطع.

٢. استعمال البنية الاسمية في قوله (شيمته الوفاء) لتحقيق دلالة مزدوجة تتمثل في ترسيخ هذه الصفة الكريمة للنبي في ذهن المتلقي من جهة والتعريض بأعدائه بأنهم لا يملكون شيئا من الوفاء وأنهم قد

تجرّدوا من المروءة وانسلخوا عن شيم العرب وقيمهم الأصيلة لتعريبتهم من أن يكونوا أندادا لرسول الله من جهة أخرى.

٣. استعمال أسلوب السخرية المتمثل في استعارة المشي على العقب (مؤخرة القدم) للهزيمة والخيبة والخذلان في قوله (رُدُّوا بغيظهم على الأعقاب) ليكشف لنا عن حالة الانكسار التي باتت تسيطر على المشركين لحظة الإحساس بالهزيمة النكراء التي لحقت بهم وبأتباعهم يوم الأحزاب بعد أن نُكِّست رايّتهم وآل جمعهم إلى شتات.

٤. استعمال صيغة (فَعَّال) في قوله (رُكَّاب) للدلالة على المبالغة في مضائه (صلى الله عليه وآله) وركوبه الصعاب لتحقيق ما عزم عليه بعد أن تُنبت عزائم الرجال الأشداء وأرعدت فرائصهم لشدة ما لاقوه من هول القتال ومضاء السيوف.

٥. استعمال أسلوب الفصل بين (ماض إلى الهول) و(رُكَّاب لما قطعوا) لتحقيق كما الاتصال بينهما لكون الجملة الثانية جاءت مؤكدة لما قبلها لتحقيق المعنى الذي دلّت عليه الأولى بلفظ جديد لأن من سمات الشخص الثابت الجنان الماضي في تنفيذ ما عزم عليه أن يكون مقتحما للصعاب مستعدا لكوب الأهوال غير مكثرث بما يعترض طريقه أو بما يؤول إليه أمره.

٦. النسق العجيب المتمثل في تقديم الهداية على الإنذار ثم أعقبه بالبشارة لبيان تبليغ الرسول للرسالة السماوية وتأديته للمهمّة التي كُلفَ بها على أكمل وجه، ألا ترى أنه جعل الإنذار متوسطا بين الهداية والبشارة إذ بدأ ببيان طريق الحق والهداية إلى نور الإيمان في قوله (مستنيرا وهاديا) ليأتي بعد ذلك الإنذار بالعذاب لمن يحيد عن طريق الحق أو يرتد عن الدين القويم في قوله (وأذرننا نارا) ثم تعقبه بشارة التمسك بالشرعية والاعتصام بحبل الله المتين في قوله (وبشّر جنّة)، وقد جاء هذا الترتيب متناغما مع المشاعر الإنسانية وذلك أن الخطر إذا كان مضغوطا بين أمنين ضعفت قوته وتلاشى أثره.

٧. توظيف حروف المعاني لتأدية المعنى المقصود، كما في استعمال (لام التعليل) في قوله (لِيُجِلَّهُ) لبيان أن اشتقاق اسم النبي (محمد) من اسم الله (المحمود) مقصود به الإجلال والتعظيم، أي لقد كان ذلك منه إجلالا لنبيّه وتعظيما لمكانته وقدره، وكذلك (الباء) في قوله (مستعصمين بحبل) لإفادة معنى الاستعانة، إذ كان الناس يتطلعون إلى عهد جديد يفيض عنهم غبار عبادة الأوثان وكانوا بأمس الحاجة إلى الاستعانة بحبل النجاة، وهو رسول الله، لينتشلهم من قعر الضلالة إلى فضاء الهدى ومن دنس الوثنيّة إلى طهارة التوحيد.

٨. استعمال النكرة في مناسبات عدّة في نصوص عيّنة الدراسة للدلالة على التعظيم والتفرد في الصفة، كما في قوله (أرسلت عبدا) إذ جاءت النكرة لإثبات أهليّة الرسول في العبوديّة الحقّة لله عز وجل بما



يملكه من استعدادات للسمو والاقتراب منه سبحانه في طريق الوصول الى كمالات النفس الإنسانية، وقوله (هداة) للدلالة على التعظيم والتكريم الإلهي للمؤمنين في جوار الله وسعة رحمته، وكذا قوله (حبل) إذ جاء التنكير للدلالة على التفرد لكونه حبلًا لا كسواه لما يملكه من صفات تكاد تخرجه من جنس الحبال حتى يكون أصلاً بنفسه وجنسا برأسه، وذاك أن من سمات الحبل أنه قابل للانقطاع مهما كانت متانته وشدّة قتله وأنه لا بد أن يكون له طرفان، أمّا أن يكون غير قابل للانقطاع وليست له نهاية فهو حبل ليس له من نظير، وهذا يجعله مدعاة للتأمل في سماته والحرص على التمسك به والوصول من خلاله الى ضفّة النجاة.

٩. استعمال الصيغة المضارعة في مناسبات عدّة في نصوص عينة الدراسة لفتح الزمن المستقبلي على مصارعه، كما في قوله (هل يستوي) إذ وظّف الصيغة المضارعة للإشارة الى جدليّة الحق والباطل التي تشكّلت مذ خلق الله الدنيا وهي لن تزول إلا بزوالها، وفي قوله (يقول الحق) إذ أطلق الزمن باستعمال الصيغة المضارعة للدلالة على عصمة النبي وذلك لأن قيادة الأمة تقتضي أن لا يحيد القائد عن الحق طرفة عين أبداً، كما جاءت الصيغة المضارعة في قوله (هداة يهتدون) للدلالة على الحركة المستمرة والسعي الدائب نحو التغيير والتعديل والإصلاح والتحرّك ضمن بوصلة التقرب الى الله والتطلع الى المعرفة الحقّة له والظفر برضوانه ونعيمه السرمدى.

#### الهوامش :

- (١) شرح ديوان حسن بن ثابت : ٦٣ .
- (٢) ظ : لسان العرب، مادة (عبد) .
- (٣) سورة النجم، آية ٤ .
- (٤) شرح ديوان حسن بن ثابت : ٦٥ .
- (٥) ظ معجم مقاييس اللغة، مادة (شيم) : ٢٣٦ / ٣ .
- (٦) سورة القلم، آية ٤ .
- (٧) ظ : لسان العرب، مادة (وفى) .
- (٨) سورة البقرة، آية ١٧٧ .
- (٩) مجمع الأمثال : ٣٨٨ / ٢ .
- (١٠) ظ : لسان العرب، مادة (برك) .
- (١١) وصف القرآن الكريم سيدنا إبراهيم (ع) باليمن والبركة في قوله  $\text{چت} \text{ڈ} \text{ڈ} \text{ڈ} \text{چ} :$  سورة الصافات، آية ١١٣، وقال تعالى على لسان نبيه عيسى بن مريم  $\text{چگ} \text{گ} \text{گ} \text{گ} \text{چ} :$  سورة مريم، آية ٣١ .
- (١٢) البيت هو قوله: أتجهوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء . شرح ديوان حسن بن ثابت: ٦٥ .
- (١٣) شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٣٥ .
- (١٤) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس : ٥٩ .
- (١٥) ظ : لسان العرب، مادة (جلل) .
- (١٦) شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٣٧-١٣٨ .
- (١٧) ظ : النقد الأدبي عند اليونان : ٢٣٤ .



- (١٨) سورة التوبة، آية ٥٢ .
- (١٩) ظ : المحاسن والمساوي : ٢٣-٢٤ .
- (٢٠) ظ : لسان العرب، مادة (ركب) .
- (٢١) ظ : نفسه، مادة (مضى) .
- (٢٢) ظ : نفسه، مادة (نحز) .
- (٢٣) ظ : البلاغة فنونها وأفنانها : ٤٢٠ .
- (٢٤) ظ : المهذب في علم التصريف : ٢٦٢ .
- (٢٥) سورة البقرة، آية ١٥٥ وآل عمران، آية ٢٠٠ والأنبياء، آية ٨٥ والشورى، آية ٤٣ وغيرها .
- (٢٦) السنن، رقم (٤٠٢٥) : ١٥٤/٥ .
- (٢٧) شرح ديوان حسن بن ثابت : ٦٩-٧٠ .
- (٢٨) ظ : مروج الذهب : ٢٩/٣ ومجمع البيان : ٤٣٩/٨ .
- (٢٩) سورة القلم، آية ٢٥ .
- (٣٠) ظ : البحر المحيط : ٤٤٠/٨ .
- (٣١) سورة الأحزاب، آية ٢٥ .
- (٣٢) سورة آل عمران، آية ١٤٩ .
- (٣٣) ظ : لسان العرب، مادة (غيظ) .
- (٣٤) ظ : تفسير القرآن العظيم : ٣٩٦/٦ .
- (٣٥) ظ : بلاغة الخطاب وعلم النص : ١٢٤ .
- (٣٦) ظ : لسان العرب، مادة (عقب) .
- (٣٧) ظ : الكشاف : ٤١٦/١ .
- (٣٨) ظ : البلاغة والأسلوبية : ٣٢٩ .
- (٣٩) سورة الأحزاب، آية ٢٥ .
- (٤٠) ظ : مجمع البيان : ٤٤١/٨ .
- (٤١) سورة الشورى، آية ٢٨ .
- (٤٢) ظ : لسان العرب، مادة (قنط) .
- (٤٣) ظ : جامع البيان : ١٤٩/١١ .
- (٤٤) ظ : مجمع البيان : ٤١/٩ .
- (٤٥) ظ : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٩ .
- (٤٦) شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٣٥ .
- (٤٧) ظ : لسان العرب، مادة (غرر) .
- (٤٨) ديوان أبي طالب : ٦٧ .
- (٤٩) ظ : شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٣٥ .
- (٥٠) سورة الأسراء، آية ٧٨ .
- (٥١) ظ : الكشاف : ٦٦/٢ .
- (٥٢) ظ : الإيضاح في علوم البلاغة : ٥٠ .
- (٥٣) شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٣٦ .
- (٥٤) سورة الرعد، آية ٧ .
- (٥٥) سورة البقرة، آية ٥٣ .
- (٥٦) سورة الأعراف، آية ١٥٨ .
- (٥٧) سورة النور، آية ٥٤ .
- (٥٨) سورة الصف، آية ٦ .
- (٥٩) شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٤٥ .



- (٦٠) ظ : علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين : ٩٨ .
- (٦١) ظ : مفتاح العلوم : ٤٢٠ .
- (٦٢) سورة الزمر، آية ٩ .
- (٦٣) سورة البلد، آية ١٠ .
- (٦٤) ظ : الإيضاح في علوم البلاغة : ٥٠ .
- (٦٥) سورة الرعد، آية ١١ .
- (٦٦) ظ : المهذب في علم التصريف : ٩٧ .
- (٦٧) شرح ديوان حسن بن ثابت : ١٣٧ .
- (٦٨) ظ : لسان العرب، مادة (حبل) .
- (٦٩) ظ : نفسه، مادة (عصم) .
- (٧٠) ظ : مغني اللبيب : ٩١/١ .
- (٧١) ظ : سورة آل عمران، آية ١٠٣ .
- (٧٢) ظ : الكشاف : ٣٨٧/١ .
- (٧٣) سنن الترمذي : ١١٢/١ .
- (٧٤) ظ : البحر المحيط : ٢٩/٣ .
- (٧٥) ظ : لسان العرب، مادة (حبل) .
- (٧٦) ظ : سورة القمر، آية ٥٥ .
- (٧٧) ظ : الصرف (حاتم الضامن) : ٦٠ .
- (٧٨) ظ : سورة المائدة، آية ٥٥ .
- (٧٩) ظ : جامع البيان : ٦٢٨/٤ و مجمع البيان : ٢٦٣/٣ و تفسير القرآن العظيم : ١٣٨/٣ .
- (٨٠) الكافي، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين : ٢٩٦/١ .
- (٨١) ظ : سورة المائدة، آية ٦٧ .



المصادر :

القرآن الكريم .

١. الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م .
٢. البحر المحيط : أثير الدين محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي، تحقيق وتعليق عبد الرزاق المهري، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠٢م .
٣. بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة- الكويت، ١٩٧٨م .
٤. البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس، دار النفائس- الأردن، ط١٢، ٢٠٠٩م .
٥. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، مكتبة النهضة- بغداد، ط١، ٢٠٠٦م .
٦. البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط٤، ٢٠١٠م .
٧. جامع البيان في تأويل القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م .
٨. ديوان أبي طالب، شرح محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .
٩. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية- لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م .
١٠. السنن :الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحق شعيب الأرنؤوطي، دار الرسالة العالمية- دمشق، ط١، ٢٠٠٩م .
١١. شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري : عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية-مصر، ١٩٢٩م .
١٢. الصرف : حاتم صالح الضامن، دار الحكمة للطباعة والنشر \_ الموصل ، ١٩٩١م .
١٣. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تصحيح محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م .
١٤. علم المعاني بين بلاغة القدماء وأسلوبية المحدثين : طالب محمد إسماعيل الزوبعي، منشورات جامعة قازيونس- بنغازي، ط١، ١٩٩٧م .



١٥. لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، تصحيح أمين محمد ومحمد صادق ، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط٣ .
١٦. مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن إبراهيم الميداني ، تحقيق قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال بيروت ط١ ، ٢٠٠٣ م .
١٧. المحاسن والمساوي : الشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي، منشورات الشريف الرضي- قم، ط١ .
١٨. مغني اللبيب عن كتب الأعراب : أبو محمد جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، تعليق علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي- لبنان، ط١ ، ٢٠٠١ م .
١٩. المهذب في علم التصريف : هاشم طه شلاش وآخرين، بيت الحكمة- بغداد .